حياة الشاعر وشعره

- حياة الشاعر.
- شخصيات أثرت في حياته.
- الأحداث التي عاصرها.
- أعماله الرسمية.
- نشاطه في خدمة الدعوة.
- نشاطه في تأليف الكتب.
- نشاطه في الشعر.
- شاعريته وميزات شعره.
- الأغراض الشعرية في شعره.
- بين الفقه والشعر.

obeikandl.com

obeikandl.com

حياة الشاعر

ولد الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي عام ١٩٢٦م في قرية «صفط تراب» التابعة لمركز المحلة الكبرى، من أعمال محافظة الغربية بمصر. ونشأ في أسرة متدينة رقيقة الحال يشتغل أفرادها بالزراعة، وانتقل والده إلى رحمة الله تعالى وهو في الثانية من عمره، فكفله عمه، وأحاطه من الرعاية بما يُفتقد لدى الكثير من الآباء. ووجد في أبناء هذا العم الفاضل خير ما يلقاه أخ من إخوته البررة، فنشأ في جو من الحنان والرعاية كان فيه يَعْتبر العمَّ أبًا وأبناء العم إخوة، واتسعت دائرة هذا العطف حوله حتى أصبح موضع رعاية من سائر أقاربه.. فكان هذا تعويضًا عن يتمه المبكر.

وفي الخامسة من عمره تم إلحاقه بأحد كتاتيب القرية الأربعة ليحفظ القرآن الكريم، ولما وافته السابعة أُدخل المدرسة الإلزامية التابعة لوزارة المعارف ليتلقى فيها المعارف العصرية: كالحساب والتقويم والتاريخ والصحة وغيرها، فكان يجمع بين الكُتَّاب والمدرسة، هذا في فترة الصباح وتلك في فترة المساء.

وقبل أن يبلغ العاشرة أكرمه الله فأتم حفظ القرآن الكريم حفظًا

obeikandl.com

لا يكاد يضيع منه حرفًا مع الإلمام بأحكام التجويد.. وأقيم له بهذه المناسبة الطيبة حفل متواضع في الكُتَّاب، حيث وُزِّعت الحلوى والشربات وأطلقت الزغاريد، وقرأ فيه آخر لوح من المصحف كتبه بيده من سورة «الضحى» إلى سورة «الناس» وكان يتلو كل سورة ثم يهلِّل بعدها ويكبر: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد. والتلاميذ يكبرون معه، فكان حفلاً بهيجًا يتطلع إليه كل تلميذ في الكُتَّاب.. ومن يومها أصبح في نظر أهل قريته «الشيخ يوسف»، وبسبب ما منَّ الله عليه من حسن التلاوة كثيرًا ما كانوا يقدمونه ليؤمهم في الصلاة وبخاصة الصلاة الجهرية، وذلك تأثرًا بما يتقن من تلاوة، وما يزين هذه التلاوة من نغمة توجه المشاعر الخاشعة إلى مضامين الآيات القرآنية. وهذا التشييخ المبكر حرمه فرص اللعب التي يستمتع بها أقرانه من الصبية، وأعطاه الحصانة التي حفظت عليه شبابه، والوقار الذي لازمه طيلة حياته.

وعاش الشيخ يوسف حياة إسلامية هنيئة في جو ريفي جميل، يحمل في ثناياه عبير الحب والتعاون والصفاء.. عاش مع أبناء قريته يقبسون من نور القرآن ويقبلون على تلاوته ويتنافسون في حفظه..

وفي أعقاب تخرجه من المدرسة الإلزامية كان لابد لأهله من أن يختاروا له الطريق الذي سيسلكه في الحياة.. ولم يكن أحب إليه من متابعة طريق العلم الذي اجتاز مرحلته الأولى، فكان يتحرق شوقًا

إلى اليوم الذي يصبح فيه عالمًا. . إلا أن عمه لم يكن على مثل رأيه، فهو على الرغم من حبه للعلم وحرصه على تشجيع ربيبه الذكي. . كان يرى أن طريق العلم طويل طويل، ومع طوله لا يضمن لصاحبه العيش المنشود، هذا فضلاً عما يتطلب من نفقة تضيق عنها قدرتهم، ولهذا حاول إقناعه بتعلم حرفة توفر له وسائل العيش من أقرب طريق. غير أن رغبة الفتى كانت أقوى من حجة عمه، فما زال يحاوره في ذلك، حتى شرح الله صدر عمه لتحقيق أمنيته، وساعده في ذلك أبناء عمه الذين أعلنوا استعدادهم للتضحية بكل شيء في سبيل تعليمه.

وهكذا يسَّر الله له طريق العلم، فالتحق أولاً بمعهد طنطا الديني الابتدائي حيث قضى أربع سنوات، انتقل بعدها إلى معهدها الثانوي الذي استمر فيه خمس سنوات، ومن ثَمَّ رحل إلى القاهرة للدراسة العليا في الكليات، حيث التحق بكلية أصول الدين، وحصل منها على الشهادة العالية سنة ٥٢ - ١٩٥٣م وكان ترتيبه الأول على دفعته، ثم التحق بتخصص التدريس بكلية اللغة العربية، فحصل على العالمية مع إجازة التدريس حائزًا المرتبة الأولى على خمسمائة طالب من كليات الأزهر الثلاث ثم التحق في عام ١٩٥٧م بمعهد البحوث والدراسات الغربية العالية التابع لجامعة الدول العربية، فحصل منه على دبلوم عال في شعبة اللغة والآداب.

وفي هذه الفترة نفسها كان التحاقه بقسم الدراسات العليا في شعبة علوم القرآن والسُّنَّة من كلية أصول الدين، فأتم سنواتها الثلاث بنجاح عام ١٩٦٠م على الرغم من صعوبة الامتحانات التي لم يثبت لها أحد سواه بعد السنة الأولى. ومن ثَمَّ شرع في إعداد أطروحته للدكتوراه عن «الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية» التي كان مقررًا أن ينتهي منها خلال سنتين، إلا أن أقدارًا غالبة حالت دون رغبته، وجاء عهد الأحداث الرهيبة في مصر فأخرت موعد حصوله على الدكتوراه إلى ما بعد ثلاثة عشر عامًا حيث حصل عليها عام ١٩٧٣م بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من الكلية نفسها.

شخصيات أثَّرت في حياته:

تأثر الشيخ القرضاوي في مستهل حياته بمدرسة الإخوان وشخصياتها البارزة. وكانت أعظم شخصية تأثر بها في حياته الفكرية والروحية هي شخصية الإمام الشهيد «حسن البنا» مؤسس كبرى الحركات الإسلامية في القرن العشرين...

يقول الشيخ القرضاوي عن إمامه: «إن أعظم الشخصيات أثرًا في حياتي الفكرية والروحية هي شخصية الشهيد العظيم حسن البنا، مؤسس كبرى الحركات الإسلامية الحديثة... هذا مع أنني لم أعايشه كما عايشه غيري، فقد كان رضي الله عنه في القاهرة وكنت في

طنطا طالبًا، ولكني استمعت إليه في طنطا عدة مرات، ورحلت وراءه إلى بعض البلاد لأراه وأستمع إليه، كما قرأت تقريبًا كل ما كتبه من رسائل ومقالات» . .

ويصف الشيخ انطباعاته عن الإمام البنا فيقول: «كان رحمه الله في حديثه إذا تحدث، وفي كتاباته إذا كتب، يمثل السهل الممتنع، ويؤثر في العقل والقلب معًا، فهو معلم وواعظ بالفطرة الموهوبة والدربة المكتسبة جميعًا. أذكر أني استمعت إليه وأنا طالب في السنة الأولى من معهد طنطا الابتدائي يتحدث بمناسبة الهجرة النبوية، فوعيت كلامه على صغر سني، وأكاد أحفظه من ذلك اليوم. كان واسع المعرفة، غزير المادة، أخرج مجلة «الشهاب» الشهرية وكان يحرر جلَّ أبوابها بقلمه، فهو يكتب في التفسير والعقائد ومصطلح الحديث والتاريخ الإسلامي وفي أصول الإسلام كنظام اجتماعي. . كل ذلك بإجادة وأصالة رغم أنه لم يكن متفرغًا للعلم والبحث، فقد كانت الدعوة ومتطلباتها تستغرق معظم وقته. ولذلك كان من وصاياه: «الواجبات أكثر من الأوقات، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته» . .

لقد تأثر القرضاوي بالإمام البنا كاتبًا ومحدثًا وعالمًا وواعظًا وبليغًا، ومربيًا للشباب والأجيال. . وكما تأثر بإمام الدعوة وقائدها فقد تأثر أيضًا بعدد من علماء الإخوان المسلمين أمثال الشيخ محمد

الغزالي والشيخ البهي الخولي، وكان تأثره بهذه المدرسة أقوى من تأثره بالدراسة الرسمية في الأزهر ومشايخه، على الرغم مما له ولهم من فضل لا ينكر في تكوينه العلمي. ومن الشخصيات الأزهرية التى كان لها أثر في نفسه: المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز لما كان يتمتع به من أصالة تفكير وفصاحة بيان وقوة في الخلق والدين. وكذلك الشيخ محمود شلتوت والدكتور عبد الحليم محمود..

وتأثر أيضًا بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم والشيخ محمد رشيد رضا..

والذي يستمع إلى محاضرات الدكتور القرضاوي أو يطلع على مؤلفاته العديدة يرى أن إعجابه برواد الفكر الإسلامي من هذه الشخصيات الإسلامية الذين تركوا أثرًا في توجيهه.. لم يجعله يقلد أحدًا منهم أو يتقمص شخصيته، ولكنه انتفع بمختلف المدارس الفكرية التي عرفتها حضارة الإسلام.. وجاءت كتاباته تحمل روح التنقيب والاجتهاد والإبداع.

ويجدر بنا ونحن نتكلم عن المؤثرات في تكوين شخصية الدكتور القرضاوي ألا نغفل المؤثرات الروحية والتربوية التي أفاد منها في نشأته الأولى في القرية الهادئة الوادعة والبيت الكريم الذي رعاه ورباه على الخلق الإسلامي الأصيل.

الأحداث التي عاصرها:

عاصر الدكتور القرضاوي أحداثًا في غاية العظم والأهمية.. عاصر الحرب العالمية الثانية، والاستعمار الإنجليزي لمصر، وحرب القناة، وحرب فلسطين ووقوع النكبة الأولى ١٩٤٨م وقيام دولة إسرائيل، ووقوع نكبة ١٩٦٧م التي احتلت إسرائيل فيها القنطرة والقنيطرة وسقطت القدس والمسجد الأقصى في يد اليهود..

ولم يكن القرضاوي في عزلة عن هذه الأحداث فقد شارك فيها - منذ كان طالبًا في الابتدائي - بقلبه وأعصابه وعلمه ولسانه.. نظم القصائد وألقى الخطب وحرَّض جماهير الطلاب على المظاهرات ضد الظلم والظالمين، وكان مسئولاً عن طلاب الحركة الإسلامية بكلية أصول الدين وكليات الأزهر الأخرى، وكان عضوًا في الهيئة المسئولة عن كتائب الأزهر في حرب القناة ضد الإنجليز. وطاف القطر المصرى من أسوان إلى رشيد والإسكندرية داعيًا إلى الله، وطاف عددًا من البلدان العربية والإسلامية لنفس الغاية.

ولعل الشيء الذي جعله على صلة عميقة وحيَّة ومباشرة بأحداث بلده ووطنه العربي والإسلامي هو: الاتصال المبكر بحركة الإخوان المسلمين.. فقد نقلته من جو الشعر والأدب الذي كان هوايته، إلى جو الدعوة العامة إلى الإسلام، ومن طريق الوعظ العام والتدين

الفردي، إلى أفق الحركة الإيجابية الشاملة، التي تعمل على خلق تيار إسلامي عام وتكوين جيل يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا ويؤمن به ويجاهد في سبيله.

وكان من ثمرات هذا الاتصال أن: صحَّح فهمه للإسلام ورسالته في الحياة، وواجب دعاته في هذا العصر نحو وطنهم الصغير، ووطنهم الإسلامى الكبير.. وأصبح مهتمّاً بأمر المسلمين جميعًا، وبقضايا الإسلام الكبرى، وبمؤامرات أعداء الإسلام، ووسائلهم في الغزو والتدمير..

وحدد هدفه من الحياة ورسالته فيها، وهي الدعوة إلى الإسلام كله عقيدة وشريعة ودينًا ودولة وحضارة وأمة.

وقد أدى انتماؤه إلى دعوة الإخوان المسلمين وجهاده في سبيل الإسلام إلى اعتقاله عدة مرات. أولها: اعتقاله سنة ١٩٤٩م نحو عشرة أشهر في عهد الملك فاروق، وقد كان طالبًا في السنة الخامسة الثانوية. وقد ضاع عليه امتحان الدور الأول للشهادة الثانوية، ثم شاء الله أن يدرك الدور الثاني بعد الإفراج عنه عقب سقوط وزارة إبراهيم عبد الهادي، وكان من إكرام الله وتعويضه له أن حصل على الترتيب الثاني بين الناجحين في الدورين من طلاب المعاهد الثانوية الأزهرية على مستوى القطر المصري. وكان اعتقاله الثاني في ٢ يناير ١٩٥٤م ولمدة شهرين ونصف في عهد الثورة، ثم في نوفمبر ١٩٥٤م ولمدة

عشرين شهرًا تقريبًا، ثم في يونيو ١٩٦٢م نحو خمسين يومًا قضاها في سجن انفرادي في مبنى مخابرات الثورة، وكان بجواره في الاعتقال صديق عمره ورفيقه في الدعوة والجهاد الداعية الكريم الدكتور أحمد العسَّال.

وبعد أن خرج القرضاوي من المعتقل سنة ١٩٥٦م، حرَّمت عليه حكومة الثورة أن يتصل بالجماهير عن طريق الخطابة والتدريس، فلم يجد أمامه إلا القلم يخاطب به الناس، في صورة مقالات في مجلة منبر الإسلام ومجلة الأزهر، وفي صورة كتب كان أولها كتاب «الحلال والحرام في الإسلام»، وتلته مجموعات من الكتب والأبحاث في مجالات شتى.. ودفعه هذا إلى التفرغ للبحث العلمي والكتابة.

أعماله الرسمية:

عمل الدكتور القرضاوي سنة ١٩٥٦م بمراقبة الشئون الدينية بوزارة الأوقاف المصرية بالخطابة والتدريس في المساجد، ثم أصبح مشرفًا على معهد الأئمة. وفي سنة ١٩٥٩م نقل إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف للإشراف على مطبوعاتها والعمل بالمكتب الفني لإدارة الدعوة والإرشاد، فشارك في توجيه المكتب الفني، وتولى الردود على الشبهات التي تثيرها الصحافة وغيرها حول الإسلام.

وفي سنة ١٩٦١م أعير إلى دولة قطر، عميدًا لمعهدها الديني الثانوي فعمل على تطويره وإرسائه على أمتن القواعد والأسس العلمية والتربوية وأحدثها، حتى أصبح المعهد مثلاً يحتذى في المنطقة كلها، وأصبح منارًا يؤمه طلبة العلم من شتى أنحاء العالم العربي والإسلامي..

وفي سنة ١٩٧٣م أنشئت كلية التربية نواة لجامعة قطر، فنقل إليها ليؤسس قسم الدراسات الإسلامية ويرأسه.

وفي سنة ١٩٧٧م تولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السُّنَّة والسيرة النبوية بجامعة قطر، إضافة إلى عمله كعميد للكلية.

نشاطه في خدمة الدعوة:

الدكتور القرضاوي عَلَمٌ بارز بين رجال الفكر الإسلامي المعاصر، ورائد من رواد الحركة الإسلامية ورعاتها، أمضى أيامه ولياليه مجاهدًا من أجل الإسلام.. امتاز بدقة العالم وإشراقة الأديب وحرارة الداعية، فهو من المفكرين الإسلاميين الذين يمتازون بالاعتدال ويجمعون بين محكمات الشرع ومتطلبات العصر..

شارك في العمل الإسلامي.. خطيبًا ومحاضرًا.. كاتبًا ومؤلفًا.. داعية ومربيًا.. مفكرًا ومخططًا.. واتخذ نشاطه لخدمة الإسلام صورًا عدة منها:

١ - **في المجال الجامعي**. . حيث يعمل أستاذًا وعميدًا لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وذلك بعد أن عمل اثنتي عشرة سنة مديرًا لمعهد قطر الديني الثانوي، فأرسى بنيانه على قواعد جعلته نسيج وحده، وأصبح مثلاً يحتذى، في الجمع بين القديم والحديث، وتقريب علوم الدين والعربية وتيسيرهما، إلى جوار علوم العصر بحيث لا يحتاج إلى سنين أكثر من سني التعليم العام. ويعمل الدكتور القرضاوي مديرًا لمركز بحوث السُّنَّة والسيرة النبوية بجامعة قطر، إضافة إلى عمله كعميد لكلية الشريعة.

٢ - **في الميدان الشعبي**. . عن طريق الخطابة والوعظ وإلقاء الدروس في المساجد . . فالشيخ القرضاوي كان يخطب الجمعة في عدد من مساجد قطر ولا زال مستمرًا على هذا في مسجد عمر ابن الخطاب. . كما أن له درس الإثنين في المسجد نفسه بعد صلاة العشاء من كل أسبوع. . وهذا الشيخ الذي بدأت حياته العلمية في كُتَّاب القرآن. . استمرت خطاه في الاتجاه نفسه، فهو لا يفارق سبيل القرآن الذي حمل أمانته منذ الطفولة. . وكم يشعر الناس بالمتعة والخشوع بصلاة التراويح وراءه في شهر رمضان المبارك حيث يقرأ جزءًا من القرآن كل ليلة، ويعطى درسًا حول هذه القراءة.

٣ - **في المجال الإعلامي**. . عن طريق البرامج التي يقدمها في الإذاعة والتلفزيون، حيث يقوم بالفتوى والرد على أسئلة المواطنين في

قطر ومنطقة الخليج، منذ إنشاء إذاعة قطر وتلفزيونها إلى اليوم، في برنامجين أسبوعين ثابتين، وهما يمثلان مدرسة فكرية وفقهية لها تلاميذها وجمهورها الذي يترقبها كل جمعة على طول أرض الخليج والجزيرة وعرضها. هذا عدا برامج توجيهية أخرى يقدمها بين حين وآخر، وبخاصة في شهر رمضان.

٤ - **المحاضرات**.. التي يدعى لإلقائها بتكليف من الجامعات، والجمعيات والأندية والمؤسسات الثقافية وغيرها في بلاد العرب والإسلام، وأحيانًا خارج العالم الإسلامي.. ولقد زار عددًا كبيرًا من البلدان والتجمعات الإسلامية في آسيا وأفريقيا، والجاليات الإسلامية في أوربا وأمريكا وكندا وبلاد الشرق الأقصى، وكان له فيها جميعًا محاضرات وندوات ولقاءات تركت أثرًا طيبًا، ولا سيما بين الشباب.

٥ - **المشاركة في المؤتمرات والندوات**.. الدكتور القرضاوي شخصية بارزة في مجال الدعوة والفكر الإسلامي وآراؤه تتمتع باحترام رجال الفكر الإسلامي.. وقلَّما تخلو من حضوره الندوات العالمية التي تُبحث فيها قضايا الإسلام والمسلمين.. لقد شارك في عدد من المؤتمرات والندوات الإسلامية والعلمية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

ندوة «التشريع الإسلامي» في ليبيا، «والمؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي» في مكة المكرمة. ومؤتمر «الفقه الإسلامي» بالرياض. ومؤتمر «الدعوة والدعاة» بالمدينة المنورة. وندوة «الإسلام والمستشرقون». «والمهرجان التعليمي» لندوة العلماء بالهند. ومؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة. ومؤتمرات السيرة والسُّنَّة بالدوحة والقاهرة وغيرها ومؤتمرات المصارف الإسلامية في دبي، وفي الكويت وفي استانبول وغيرها وندوة «الاقتصاد الإسلامي في مجال التطبيق» في أبو ظبي، وندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت: «الإنجاب في ضوء الإسلام» و«بداية الحياة ونهايتها» وغيرها وملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر ومؤتمرات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن. ومؤتمرات اتحاد الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة وكندا وغيرها..

وقدم لهذه المؤتمرات والندوات بحوثًا علمية كانت موضع تقدير المؤتمرين.

٦ - **نشر المقالات والبحوث**.. حيث قام بنشر المقالات والبحوث في مختلف المجلات الإسلامية والعربية، نذكر منها: «الأزهر» و«نور الإسلام» و«منبر الإسلام» و«الدعوة» و«لواء الإسلام» في مصر، و«حضارة الإسلام» بدمشق، و«الوعي الإسلامي» و«المجتمع» و«العربي» بالكويت، و«الشهاب» ببيروت، و«البعث الإسلامي»

بالهند، و«الدعـوة» بالرياض، و«الأمة» و«الدوحـة» في قطر، و«منار الإسلام» فـي أبو ظبي، و«المسلم المعاصـر» في لبنان وغـيرها. كـما نشرت له الصحف اليومية والأسبوعـية والشهرية في كثير من البلدان العربية والإسلامية مقابلات أجاب فيها عن كثير من الأسئلة التي تهم القراء في القضايا الإسلامية.

٧ - تأليف الكتب في مختلف مجالات الثقافة الإسلامية.

٨ - الدعوة لتأسيس هيـئة خيرية إسلامية عـالمية لرعاية ودعم المسلمين في العالم.. فالدكـتور القـرضاوي من أصحـاب الهمم العـالية في الميدان الإسلامي الذين صدقوا ما عـاهدوا الله عليه، واستجابوا لنداء الواجب الإسلامـي والإنساني.. ولقد تمثـلت فكرته في إنشاء هيـئة خيرية إسلاميـة عالمية مهمتها مـدُّ يد العون للمسلمين في العالم كله مادياً ومعنوياً إنقاذًا للمسلمين من حملات التبشير والتنصير وتخليصًا لهم من براثن الجـوع والفـقـر والمرض تطبـيـقًا لمـا يمليه عـلينا ديننا الإسلامي..

وانعقد في الكويت الاجتماع التحضيري الأول لمؤتمر الهيئة الخيرية الإسلامـية الذي شارك فـيه ١٥٣ داعية من رجـال الفكر والعلم من خمسين قطرًا من العالم الإسلامي وأوربا وأمـريكا واليابان، استجابة لنداء فضيلة الدكتور القرضاوي الذي دعا إلى تكوين هذه الهيئة لتقف

أمام التحديات والتيارات الكنسية واليهودية التي تتخذ من حاجة المسلمين ذريعة إلى تحريف عقيدتهم وصرفهم عن الإسلام..

لقد ضرب الشيخ القرضاوي أروع مثل في جهده وبذله فاجتمعت عليه القلوب والتقت عليه الأيدي وهوت إليه الأفئدة ملبية نداءه ودعوته، وكان من ثمرة عمله المبارك وما ألقاه الله في قلوب المسلمين له من حب وتكريم هذه الهيئة التي كانت حلمًا فأصبحت حقيقة..

إن كلمته الطيبة التي خرجت من قلب مخلص يتقد بحرارة الإيمان ويتحرق حسرة على ضياع وشتات المسلمين.. قد نفذت إلى قلوب المخلصين من رجال الإسلام فهبوا يلبون النداء ويترجمون الفكرة الواعية إلى عمل جاد.

٩ - القيام بعدد من الأعمال الأخرى.. فهو عضو المجلس الأعلى للتربية في قطر، ونائب رئيس الهيئة العليا للفتوى والرقابة الشرعية للاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ورئيس هيئة الرقابة الشرعية لمصرف قطر الإسلامي، ولمصرف فيصل الإسلامي بالبحرين، وعضو الهيئة لدار المال الإسلامي، وعضو مجلس الأمناء لمنظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا ومركزها الخرطوم، ومستشار شرعي لعدد من المؤسسات المالية والاقتصادية التي تتعامل وفق أحكام الشريعة، وعضو المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي.

نشاطه في تأليف الكتب:

ألف الدكتور القرضاوي مجموعة كبيرة من الكتب في مختلف جوانب الدراسات الإسلامية، أصيلة في بابها، تلقاها أهل العلم في العالم الإسلامي بالقبول والثناء. . طبع أكثرها عدة مرات، وترجم عدد منها إلى جملة من لغات العالم الإسلامي، وفيما يلي بيان بتلك الكتب:

١ - «قطوف دانية من الكتاب والسُّنَّة»، عام ١٩٥١ م وقد طبع مرتين.

٢ - «الحلال والحرام في الإسلام» عام ١٩٦٠ م، وقد ألفه بتكليف من مشيخة الأزهر، وقد طبع الكتاب تسع عشرة مرة بالعربية، كما ترجم إلى التركية والأوردية والأندونيسية والماليبارية والإنجليزية. وقال عنه الأستاذ مصطفي الزرقا: إن اقتناءه واجب على كل أسرة مسلمة.

٣ - «العبادة في الإسلام»، عام ١٩٦١ م، وطبع عدة مرات.

٤ - «الناس والحق» عام ١٩٦٦ م، طبع عدة مرات، وترجم إلى التركية والفارسية.

٥ - «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»، عام ١٩٦٧ م، طبع عدة مرات، وترجم إلى الأوردية والماليبارية والتركية والفارسية.

openkanar.com

٦ - «الإيمان والحياة» طبع عدة مرات، وترجم إلى الأوردية والأندونيسية والتركية والفارسية.

٧ - «فقه الزكاة»: في جزءين كبيرين، عام ١٩٦٩ م، وهو دراسة مقارنة لأحكام الزكاة وآثارها في إصلاح المجتمع في ضوء القرآن والسنة..

وقد شهد المختصون أنه لم يؤلف مثله في موضوعه في التراث الإسلامي..

قال عنه العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله: إنه كتاب هذا القرن في الفقه الإسلامي، نقله عنه الأستاذ خليل الحامدي..

وقال عنه الأستاذ محمد المبارك في مقدمة كتابه عن «الاقتصاد في نظام الإسلام»: هو موسوعة فقهية في الزكاة، استوعبت مسائلها القديمة والحديثة وأحكامها النصية والاجتهادية على جميع المذاهب المعروفة المدونة.. مع نظرات تحليلية عميقة، وهو عمل تنوء بمثله المجامع الفقهية، ويعتبر حدثًا مهمّاً في التأليف الفقهي. وقد ترجم إلى الأوردية، والتركية والأندونيسية والإنجليزية.

٨ - «شريعة الإسلام: خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان»، طبع عام ١٩٧٣ م.

٩ - «الخصائص العامة للإسلام» طبع عام ١٩٧٧م.

obeikandl.com

١٠ - «درس النكبة الثانية»، ألف عام ١٩٦٩ م.

١١ - «عالم وطاغية» مسرحية تاريخية، عام ١٩٦٦ م، وترجمت إلى التركية.

١٢ - «فتاوى معاصرة».

١٣ - «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، عام ١٩٧٧ م.

١٤ - «الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا»، عام ١٩٧١ م، وقد ترجم إلى التركية.

١٥ - «الحل الإسلامي فريضة وضرورة»، عام ١٩٧٤ م.

١٦ - «الخصائص العامة للإسلام».

١٧ - «الصبر في القرآن».

١٨ - «ثقافة الداعية»، ترجم إلى الأوردية والفارسية.

١٩ - «التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا».

٢٠ - «وجود الله».

٢١ - «حقيقة التوحيد»، ترجم إلى اللغة السواحلية.

٢٢ - «نساء مؤمنات».

٢٣ - «الدين في عصر العلم».

obeikandl.com

٢٤ - «ظاهرة الغلو في التكفير».

٢٥ - «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف» - الكتاب الثاني لمجلة الأمة القطرية، وقد ترجم إلى الأوردية وبعض اللغات الهندية.

٢٦ - «الرسول والعلم».

٢٧ - «الوقت في حياة المسلم».

٢٨ - «بيع المرابحة للآمر بالشراء».

٢٩ - «رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد».

٣٠ - «جيل النصر المنشود».

٣١ - «الاجتهاد في الشريعة الإسلامية».

٣٢ - «أين الخلل؟».

٣٣ - «عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية».

٣٤ - «الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد».

٣٥ - «الإسلام والعلمانية وجها لوجه».

كتب بالاشتراك: شارك في تأليف أكثر من عشرين كتابًا مدرسيّاً في الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والتربية والبحوث الإسلامية

obeikandl.com

والمجتمع الإسلامي، وفلسفة الأخلاق، وقد قرَّرت وزارة التربية والتعليم في دولة قطر تلك الكتب في مدارسها المختلفة.

نشاطه في الشعر:

الدكتور القرضاوي أديب معاصر وشاعر إسلامي من شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث الذين عايشوا الحركة الإسلامية في صميم جهادها وتفاعلوا معها، ورافقوها في طريقها الطويل المحفوف بالمكاره والمحن..

شاعر نظم قصائد وأناشيد ردَّدها دعاة الإسلام، وتربَّت عليها الأجيال.. شَدَت بها الألسن، وهَفَت إليها الأنفس، فأيقظت القلوب بالإيمان، وأشعلت الأرواح بالجهاد، وغدت نشيدًا للشباب المعتصم بالله الحامل لواء الحق السائر على درب الكفاح.

شاعريته وميزات شعره:

نشأ القرضاوي منذ صغره مفطورًا على الفصاحة، وشبَّ على حب العربية وآدابها، وعُرف بين الناس بقدرة فائقة في علومها، وإنشاء الشعر في عهد مبكر، فقد اشتهر به منذ كان طالبًا بالمعاهد الأزهرية..

وكانت أول محاولة للتأليف عنده «مسرحية شعرية» عنوانها «يوسف الصديق» ترسَّم فيها خطى أمير الشعراء أحمد شوقي في مجنون ليلى ومصرع كليوباترا. وكان وقتها طالبًا بالسنة الأولى من المرحلة الثانوية.

ولا شك أن نشأته الريفية ودراسته في الأزهر وارتباطه بالحركة الإسلامية في مصر قد مكّن للثقافة العربية الأصيلة في نفسه.. ومن أجل ذلك جاء شعره نقي العبارة، جميل الصورة، فصيح الأسلوب، عذب البيان، قوي النسج.. ينبض بحرارة الإيمان وأصالة الفكر وحرقة العمل..

شعره شعر صادق منبثق من الواقع.. فكرة، وتجربة، وأسلوبًا.. شعر يحمل معاناة إنسانية من خلال المفاهيم والتصورات الإسلامية.. شعر يتحدث عن آلام الناس، ويدعو إلى إزالة المظالم، وإصلاح الفساد.. شعر يتحرك في إطار الإسلام، ويلتزم المنهج الإسلامي.. إنه شعر دعوة في كل قصيدة من قصائده بل وفي كل بيت من أبيات القصيدة.. إنه زاد من زاد الدعاة، وأداة تحمل من الطاقات كل عجيب..

ومن ميزات شعره: السلاسة والتدفق، والصدق في الإحساس والتصوير، والأسلوب القصصي، والالتزام بعقيدة التوحيد وبالفكر الإسلامي الذي يبدو الاعتزاز به والانتماء إليه في كل قصيدة من قصائده.. فهو يعتقد أن الإسلام حيثما حل ملازم للتحرر والتحرير.. يحرر الأرض من العدوان، والإنسان من الطغيان، وهو السبيل الوحيد لتحرير الأرض المغتصبة والأوطان المسلوبة.

والقرضاوي شاعر عبقري البيان، صادق العاطفة والإحساس.. ذو خيال خصب، وموهبة عميقة، وأداء جميل، وتوفيق كامل ومؤثر في رسم الصور والمشاعر.. تبدو في شعره سلاسة العرض، وفصاحة الأسلوب، وطول النفس.. وتتجلى فيه روح صاحبه: رجل العلم والفكر والدعوة..

وقد اشتهر بقصائده الطوال الفريدة من نوعها موضوعًا وحجمًا مما يدل على طبع سخي، وشاعرية فياضة، مما يجعله مؤهلاً للقصة والملحمة.

الأغراض الشعرية في شعره:

للقرضاوي شعر في معظم أغراض الشعر ومجالاته:

- له في التأمل.. كقصيدة: السعادة، وقصيدة مناجاة القبر، التي نظمها في العقد الثاني من عمره ومطلعها:

حنانيك ماذا في حناياك يا قبرُ؟ بربك خبِّر قبل أن يُفدحُ الخُبْرُ!!
فياليت شعري: ما تُكنُّ ليوسفَ؟ أروحٌ وريحانٌ أم النار والجمرُ؟!

- وله في الوطنية والحماسة.. مثل قصيدته الشهيرة في توديع كتائب الأزهر إلى القناة للاشتراك في المعارك التي قادها الشباب المسلم في تلك الأيام ضد الإنجليز المحتلين، وكانت هذه القصيدة بعنوان «يا أزهر الخير» نظمها سنة ١٩٥١ م وقال فيها:

دع المداد وسطِّر بالـدَّم القـاني! وأسْكِت الفم واخْطُب بالفم الثاني!
فم الـمَدافع في صدر العُداة له من الفصاحة مـا يُزرى بسحبان

ومنها:

يا أزهر الخير قُدْها اليوم عاصفة فـإنَّـمـا أنت من نور ونـيـران
هذا شـبـابك للمـيـدان منطلق فهل نرى في الشيوخ اليوم (كاشاني)؟!

- وله في المناسبات الإسلامية.. كقصيدته «النونية في ليلة القدر» التي ألقاها في معتقل الطور في رمضان ١٣٦٩ هـ. وقصيدته «الرائية في ذكرى الهجرة» سنة ١٣٧٠ هـ والتي مطلعها:

سَهِرْتُ لَيْلِيَ حـتى ملَّني السَّهَرُ وشَـغَّني ذِكْرُها والصَّبُّ يَذَّكِـرُ

وقصـيدته النونية الشـهيرة في ذكـرى المولد سنة ١٣٧٠ هـ، وقد نشرت مجلة الدعوة أجزاء منها، وسارت بها الركبان، ومنها:

قالوا: إلى السجن، قلنا شعبة فتحت ليجـمعـونا بها في اللـه إخوانًا
قالوا: إلى الطور، قلنا: الطور مؤتمر فـيه نقـرِّر مـا يخـشاه أعـدانا
فهـو الـمُصلَّى نربِّى فيـه أنفسنا وهو المصـيف نقوي فيـه أبدانًا

وقصيدته الرائيـة بمناسبة مرور عشرين عامًـا على الدعوة، نظمها عام ١٩٤٨ م، ومنها:

obeikandl.com

هل هذه شُـعَبٌ أم هذه شُـعَلٌ تكوي وتهدي ففيها النَّار والنُّور؟
تكوي أناسيَّ أعْيا الطِّبَّ داؤُهُم والكيُّ آخـر ما تأتي العـقاقـير
وترسلُ النورَ يهدي من له بصرٌ والعُمْيُ تُنكرُ والخُفَّـاشُ مذعور

ومنها:

يا دعوة الحقِّ قُصِّي مالقيت فكم يُؤذَى الهدَى ويُعانُ الباطلُ البور
وكم زعيم عَدَا نحوي لينطحني فعاد من صخرتي والقرن مكسور

ومنها قوله الذي يصف فيه شباب الدعوة:

للغرب هُمْ أجل، للشرق هُمْ أمل للدِّين نصـرٌ وللأوطان تحـرير
ظنُّوا وراء اللِّحى وهنًا ودروشةً مهلاً فخلف اللِّحى أُسْدٌ مغاوير

وقصيدته الرائية التي قيلـت بمناسبة مؤتمر طلاب الأزهر الذي عقد بساحـة الأزهر بشأن مطالب الأزهريين في سنة ١٩٥٢ م أوائل قـيام الثورة أيام الرئيس محمد نجيب، ومنها:

صَبْرنا إلى أنْ ملَّ من صَـبْرنا الصبرُ

وقلنا: غـدًا أو بعـده ينجلي الأمـر

فكان غـدٌ عـامًـا، ولو مُـدَّ حَـبْلُهُ

فقـد ينطوي في جوف هذا الغـد الدَّهر

وقلنـا عـــسى أن يُدْرِكَ الحـقَّ أهلُهُ

فصاحت (عسى) من (لا) و(لا) طعمها مر

ومـــاذا علينا بعـــد أن ثار مِـــرْجَلٌ

من الغـــيظ والآلام يغـلي به الصَّـــدر

سـدَدْنا بطول الصـبـر منَّا صِمـامَـهُ

فـزادت عليـه النارُ، فـانفجـر القِـدْرُ!

ومنها:

سلامٌ على الدُّنيـا سلامٌ على الورى

إذا ارتفع العُـصـفور وانخـفض النّسـرْ

- وله الشعر القصصي.. كما في قصيدته «ثورة لاجئ»، التي نظمها عام ١٩٦٢م. وهي موجودة كاملة في هذا الديوان.

- وله الشعـر المسرحي.. كما في مـسرحيـة «يوسف الصديق» التي ألَّفها ونشـرها في عهد مبكر من حيـاته. وهي رواية تمثل ما جرى لسيدنا يوسـف عليه السلام مع أبيه وإخوته ثم مـع امرأة العزيز ثم مع الملك من البـداية إلى النهـاية. وقد نظـم في إهدائها الأبيـات التالية:

obeikandl.com

إلى من رمته العاديات بسهمها
فبات يعاني الضرّ إذ عضّه الدَّهر
إلى من طواه العمر وهو معذب
لياليه سوداء، وأيامه غبر
إلى من رماه الهمُّ في جُبِّ حيرة
وأُدخلَ سجنَ البؤسِ ليس له وزر
لمن غالب الأيام حتى غلبنه
وظنَّ محالاً أن يكون له نصر
إلى من جفاه حِبُّه وهو هائم
فظل كئيبًا لا يبش له ثغر
وبات مهيض القلب، في عينه قذى
وفي صدره جمر، وفي فمه صبر
إلى ذلك الصَّبُّ الذي ظلَّ عمره
وساعته شهر وليلته دهر
إلى هؤلاء البائسين ليعلموا
بأن مجيء المدِّ إذ ينزل الجزر

إلى هؤلاء الأشـــقـــيـــاء ليـــوقنوا

بأن ظلام الـبـــؤس يخلفـــه فـــجـــر

إليـهم كـــتـــابًا من أخ ضـيم مـــثلهم

عـــسى أن تعـــزِّيهـم بشـــائره الغـــرُّ

إليـــهم كـــتـــابًـا من غـــريم زمـــانه

فـــــسلسله ملح، وسكَّره مـــــرٌّ

فـــإن وجـــدوا فـــيـــه عـــزاء وسلوة

فلـي منهم شـكر ومن بـارئي أجـــر

وقد اطلعت على نسخـة من هذه المسرحية ووجدت على غـلافها صورة للشـاعر وهو طالب بالسنة الأولى من المرحلـة الثانوية، وتحت الصورة هذه الأبيات:

أمـــصـــوِّرَ الأجـــســـام والأبدان

هلاَّ تـصـــوِّر حـكمـــتـي وبيـــاني؟

أتصـــوِّرنْ وجـــه الرجـــال وتتـــركن

تصـــوير مـا بهـــمـو من العـــرفـان؟

المرء ليس بوجهه أو جسمه

لكن بفكر ثاقب ولسان

لو كان قدر المرء جسمًا لا حِجًا

لسما عليه الثور بالجسمان

وكأن الشاعر ينظم ويردد معنى قول الرسول الكريم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»

- وله الشعر الملحمي. . كما في قصيدته «النونية» التي قدمتها في هذا الديوان. وكان الشاعر قد نظمها في السجن الحربي سنة ١٩٥٥م لتسجل أحداث هذا السجن الرهيب.

- وله في الرثاء . . كقصيدته «دمعة وفاء» التي نظمها سنة ١٩٥٠م في رثاء الأخ المجاهد زكي الدين أبو طه، ومنها:

أبكي، فتى إن ثار للحق انتضى

عزمًا يفلُّ الصَّارم المسلولا

أبكي فتى كان الجميع يعدُّه

رجلاً، وإن كان الرِّجال قليلاً

- وله في التوبة والابتهال. كقصيدته «ابتهال» التي نظمها سنة ١٩٦٢م، ومنها:

يا مـن له تعنـو الوجـــوه وتخـــشع

ولأمـــره كلُّ الخـــلائق تـخـــضع

أعنو إلـيكم بجـــبـــهـــة لـم أحنهـــا

إلا لوجـــهك ســـاجـــدًا أتـضـــرع

- وله مـجموعـة من الأناشيـد.. كنشـيد «مسلـمون»، ونشـيد «العودة»، ونشيد «فتى القرآن».

- وله في غيـر ذلك من الأغراض، مما ذهب أكـثره، ولم يبق إلا أقله. ولعل الغرض الوحيد الذي لم يطرقه بشعره هو: المديح، ولعل سبب ذلك واضح عند كل من عرف الشـاعر وخالطه. فهو بطبـيعته يكره الإطراء والملق، والتعلق بالأشخاص.

بين الفقه والشعر:

العلاقـة بين الفقه والشـعر قديمة قد تغـرق في قدمهـا إلى القرن الهجري الأول عندما أخذ بعض الشعراء يسـتعيرون مصطلحات الفقه وقضايـاه في أشعارهم، وعندما أخـذ بعض الفقهاء يصـوغون بعض قـضاياهم بالشـعـر أو يعبـرون عن الجوانـب الوجدانيـة في ذواتهم بالشعـر، ثم تطور ذلك كله إلى أن يتخذ بعض الـفقهاء من الشـعر وسيلة للدعوة إلى الاستقامة ومكارم الأخلاق.

obeikandl.com

وبهذا التفاعل بين الفقه والشعر ظهر ما يسمى لدى دارسي الأدب بالفقهاء الشعراء، واشتهر من هؤلاء عدد غير قليل حتى وجدنا من يؤلف كتبًا عن الفقهاء الشعراء.

ولعل أشهر الفقهاء الشعراء هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب المشهور. وللشافعي شعر في غاية الجودة وإن كان من الطبيعى أن يكون هذا الشعر عن الجانب الأخلاقي في معظمه إلا أنه لم يخل من الجانب الوجداني.

وكان الشافعي رضي الله عنه يحس أن لديه طاقات شعرية عظيمة ولكنه كان يكبتها وينشغل عنها أو يشغله عنها الاشتغال بالفقه وقضاياه، كان كلَّما هزَّه الشعر وحاول أن يكتبه، يردعه ويزجره لاعتقاده أن الفقه والشعر لا يصلح أن يجتمعا وذلك لما يراه من خوض الشعراء في كل موضوع موافق للفقه أم مخالف، وما يسمعه من هيام الشعراء في وديان لا يقرها الشرع ولا يرتضيها الفقه.. نحسُّ ذلك في قوله:

ولولا الشعر بالعلماء يزري

لكنت اليوم أشعر من لبيد

وانظر إلى سيطرة الفقه على روح الشافعي، فهو قد فضل بطريقة ذكية لبيد بن ربيعة العامري الصحابي على سائر أصحاب المعلقات

الذين ماتوا قبل الإسلام، لذا نراه يتخذ شعره دون غيره مثالاً لتقدم الشعر وتفوقه.

ومع أن الشافعي كان يرى الشعر مزريًا بالعلماء فقد قال من الشعر ما يملأ ديوانًا من مائة صفحة أو يزيد، وهو قدر قد لا يجتمع لشاعر مشهور، ومع ما أحيط به بعض هذا الشعر من شك في نسبته للإمام إلا أنه يبقى دليلاً على أن الشافعي كان شاعرًا واعدًا لو أنه لم ينصرف عن الشعر إلى الفقه.

فإذا كان الشافعي رضي الله عنه شاعرًا أخذه الفقه من الشعر.. فإن الشيخ القرضاوي من هذه الفئة من الشعراء الذين ربحهم الفقه والفكر الإسلامي وخسرهم الشعر. ولنستمع إليه يحاور نفسه في قصيدة بعنوان «أنا والشعر» فيقول:

أريد له هجرًا فيغلبني حُبِّي

وأنوي ولكن لا يطاوعني قلبي

وكيف أطيق الصَّبر عنه وإنَّما

أرى الشعر للوجدان كالماء للعشب

فكم شدَّ من عزم وبصَّر من عمًى

وأيقظ من نوم، وذلَّل من صعب

لقد بغَّضت لي الشعرَ في مصر ثلةٌ

يبيعونه بالمال للبغي والنَّهب

فكم سافح قد لقَّبوه بفاتح

وكم مسرف سمَّوْهُ ذا الكرم الرَّحب!

وكم فاجر باغ مشوا في ركابه

وسمُّوه ليثا وهو أدنأ من كلب!

وكم ولغت في حرمة الناس كفّه

فغطَّوْا عليها كالخضاب على الشيب

إذا كان هذا ديدن الشعر في الورى

فما هو إلا السُّمُّ في المشرب العذب

ومع أن القرضاوي ترك الشعر وتفرغ للنشاط الإسلامي في جوانبه المتعددة إلا أنه من العلماء الذين يتذوقون الشعر ويحبونه ويحضرون ندواته.. وهو يرى أن الشعر ركيزة هامة من ركائز الدعوة الإسلامية إذا كان للحق وحده، فيقول:

وقفتك يا شعري على الحق وحده

فإن لم أنل إلاَّه قلت لهم: حسبي!

وإن قـال غـرٌّ: ثروتـي، قلت دعـوتي

وإن قـال لي: حزني، أقـول له: ربي!

فَعِشْ كـوكبًا يا شـعر يهـدي إلى العلا

وينقضُّ رجـمًـا للشـياطين كـالشـهْب

ولا زال هذا الداعية المربي ينظم أناشيد إسلامية يشدو بها الشباب وتتربى عليها الأجيال.

وكان يمكن أن يكون القرضاوي شـاعرًا ملء الأسمـــاع والأبصار لو أنه تفرغ للشـعر والأدب... ولكنه ترك الشعر وتفـرغ للكتابة في مجـالات الدعوة المتعددة، فـقدَّم للأمة ذخـائر من الفكر والدراسات الإسلاميـة العميقـة -ولاسيما الفـقهية- أنارت الطريق أمـام الأجيال المسلمة والحمد لله رب العالمين.

●●●

obeikandl.com